مُقَدِّمَة

يتجه نقد النقد الأدبي نحو النصوص النقدية النظرية لقراءة المصطلح، والمنهج، والمفهوم، والإجراء النقدي، إضافة إلى مساءلة النظريات الفكرية المؤسِّسة، ومدى قدرة النقد الأدبي على قراءة النصوص الأدبية، وما هو المختلف الذي يقدمه كل اتجاه نقدي عن سواه، وما هي مرتكزاته، وأسسه، وما يتميز به عن سواه.

ويمكن أن يمّم نقد النقد وجهه نحو النصوص النقدية التطبيقية التي انشغلت بقراءة النص الأدبي ليسائل أدواتها، وإجراءاتها، وقدرتها على تمثل النص النقدي النظري، وتحويله إلى مادة قابلة لقراءة النص الأدبي، وهل استطاع أن يحقق ما توخى من أهداف؟ وما هو المدى الذي التزم به على مستوى المصطلح، والمنهج، والمفهوم، والإجراء؟ وهل نجح في جعل معطياته النظرية النقدية؛ مادة مناسبة لقراءة النص الأدبي الذي اتجه نحوه دون أن يفقد خصوصيته...؟

وقد حقق نقد النقد الأدبي تمايزاً، يعود في بعض جوانبه إلى طبيعة النصوص النقدية التي ينشغل بها؛ وكذلك إلى قدرة قارئه على مقاربتها، واستطاع عبر تاريخه أن يفرز مجموعة من الأدوات المنهجية التي مكّنته من سبر أكثر منهجية وعمقاً للنصوص النقدية.

وتبدو الحاجة ملحَّة لأن يسائل النقد العربي الحديث مرجعياته ومكوناته بين حقبة وأخرى؛ لعله يعزِّز ما أفادَ وأثمرَ، ويُعرِضُ عما لم يتمكن من الإفادة منه، نتيجة إشكال في هذا الاتجاه أو ذاك، أو لعدم التمكن من الإفادة منه كما يجب.

صدرت مجموعة من الكتب التي توخت رصد الاتجاهات، والمناهج النقدية الحديثة في الثقافة العربية وآليات حضورها واستقبالها وإشكالياتها[1]، محاولة الوقوف

(1) من هذه الكتب: البنكي- محمد أحمد، دريدا عربياً، قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005، ط1.

ولا بد من توضيح المنهجية المتبعة في هذه الدراسة في التوثيق، حيث تُذكر معلومات الكتاب كاملة في الحاشية، حين يرد أول مرة، تبعاً للترتيب الوارد في المرجع أعلاه، وإذا كان الكتاب مترجماً يُضاف اسم المترجم والمراجع، وحين يُذكر الكتاب مرة ثانية يُكتفى باسم الكاتب والكتاب ورقم الصفحة، وإنْ كان مترجماً يضاف اسم المترجم، وإذا ورد الكتاب نفسه في الهامش السابق لاتكرر المعلومات السابقة، بل يُكتفى بـ المرجع نفسه ورقم الصفحة، وإذا أشير إلى كتاب دون الحاجة

عند جوانبها النظرية والتطبيقية المختلفة، وشواغلها الرئيسة، ومدى قدرة الثقافة العربية على الإفادة منها، وآليات قراءتها للنصوص النقدية، إضافة إلى أرضيتها الفلسفية.

وقد شغل النقد السيميائي جزءاً ملفتاً من مساحة النقد العربي الحديث بصفته أحد الاتجاهات التي حاولت أن تكشف عن خصائص الأجناس الأدبية المختلفة، وكونه أحد الروافد الرئيسة لحركة النقد.

واهتم النقد السيميائي في عدد من مدوناته بالرواية وشواغلها الفنية، حيث حاول أن يوازن الخطى بين التوجه إلى علامات النص، وما تحيل إليه تلك العلامات مما يقع في دوائر خارج النص، وذلك بعد تناحرات طويلة بين النقاد؛ إذ حاول بعضهم شدّ النقد إلى النص، أو المؤلف، أو المتلقي، أو ماحول النص.

وحمل النقد السيميائي مثل سواه من الاتجاهات النقدية للرواية العربية الكثير من الأسئلة، وقد اختلف النقاد في تطبيقه كل بحسب وعيه له، والثقافة التي تحصَّل عليها، وكيفية تطبيقه على النصوص، مما دلَّ على تنوع، وتعدّد جعل الوقوف عند واقعه، وموقعه، وأسئلته أمراً ملحاً، لعل ذلك يقود للتعرف إلى الكثير من إشكالياته وثمراته.

وبرز حضوره في العقدين الأخيرين بخاصة بعد أن قلّ الاهتمام بالمناهج التي تتوجه إلى الجوانب الفنية في النص الأدبي، وما حول النص، وكذلك نتيجة جهود مشتغلين عديدين درسوه في منابته، وتفرغوا له، وصرفوا جهودهم لمقاربته، فأنجزوا مجموعة من الكتب كشفت عن قدراته، وما يمكن أن يقدِّم من اختلاف وإضافة، وتوازن بين علامات النص وما تحيل إليه، نمّ على ثروات مغايرة تختلف عن سواه من المناهج الأخرى.

وبناء على ما سبق فقد وجدتْ الدراسة أنها يمكن أن تنشغل بهذا الجزء من النقد الأدبي العربي الذي اهتم بجنس أدبي محدد (الرواية)، راح يشغل في العقود الأخيرة معظم جهود النقاد بفضل قدرته على التعبير عن هواجس الأفراد والمجتمعات، وتطوراتها، وما يدور فيها من حراك، وسوى ذلك.

إلى رقم صفحة محددة، يُذكر المؤلف والكتاب، مضافاً إليهما: مرجع سبق ذكره، وإذا كان الكتاب دورياً يُكتب **اسم السلسلة** ورقم العدد وشهر الصدور، وإذا كان المرجع دورية يُدوّن عنوان البحث في موقع اسم الكتاب، ويُضاف **اسم المجلة**، ورقم العدد والمجلد، وإذا كان الكتاب لمجموعة من المؤلفين يوثق باسم كاتب البحث وعنوان البحث.

وقد وُضِعَت المقبوسات الحرفية بين علامتي تنصيص، أما ما أُخِذَ بما معناه فتوضع كلمة (انظر) قبل توثيق الكتاب في الحاشية.

إن دراسات نقد النقد الأدبي لها إيجابيات كثيرة تساعد على بناء شخصية الدارس، فيطلع على أصول المنهج، ومكوناته، والنصوص الأدبية التي قامت الكتب بقراءتها، ومساءلة تلك النصوص، والسعي لاجتراح الأدوات المنهجية لسبر قدراتها.

وقد توخت الدراسة تحقيق مجموعة من الأهداف أبرزها:

- التعرف إلى العوامل المختلفة التي تتشارك في تشكيل الفكر النقدي العربي الحديث.
- التعرف إلى الأرضية الفلسفية والفكرية للنقد السيميائي.
- استكشاف مساحة اشتغال النقد السيميائي في خارطة النقد العربي الحديث عامة، والروائي خاصة.
- البحث في المناطق الفكرية التي تتقاطع مع النقد السيميائي.
- تحديد المفاهيم والإجراءات النظرية التي تشكل جوهر النقد السيميائي.
- قراءة النقد العربي السيميائي للرواية قراءة تكشف عن اتجاهاته ومكوناته ومصطلحاته وإجراءاته.
- تحليل بعض النماذج العربية التي سعت لصياغة نقد يوظف السيميائية في القراءة النقدية.
- التعرف إلى خصوصية النقد السيميائي في قراءة الرواية العربية بالموازنة مع الاتجاهات الأخرى.

وقد تطلبَ إنجاز الدراسة، بداية، صنع ببلوغرافيا، لما أنجز من دراسات سيميائية روائية في الدوريات والكتب العربية، لأن استقراء النقد السيميائي الذي انشغل بالرواية العربية خير مدخل للتعرف إلى هذا النقد، وهذا الاستقراء يؤمِّن دقةً للاستنتاجات في بعض مواطن البحث؛ ليتم بعد ذلك تحديد النماذج التي يمكن دراستها بحيث تحقق الأهداف المرجوة، وقد تم التعامل مع النقد السيميائي للراوية العربية، واختيار النماذج وفقاً لما يلي:

- استبعاد الكتب التي لم يبدُ عليها الإحاطة بأدوات النقد السيميائي.
- تجاوز الكتب التي تعاملت مع السيميائية تعاملاً عاماً بحيث أفادت منها بصفتها منهجاً، لم يستطع أن يفرز خصوصيته، أو تناولتها تناولاً سريعاً، لاينم على إحاطة بتفاصيلها، أو خلطت خلطاً غير واع بينها وبين اتجاهات نقدية أخرى.
- التركيز على كتب الأعلام الفاعلين في السيميائية، الذين تركوا بصمة في النقد السيميائي الروائي العربي.

- تغطية اتجاهات النقد السيميائي المختلفة: الباريسي والثقافي والتداولي والتوفيقي.
- التركيز على بعض الكتب من أجل الابتعاد عن القراءة الأفقية، والدخول في أعماق النص النقدي، واختبار أدواته، وآلياته، وإجراءاته.
- تجاوز المقالات والأبحاث التي نشرت منجَّمة ثم صدرت غالباً في كتب.

وقد سبق اختيار النماذج المعبرة عن خارطة النقد السيميائي العربي الاطلاع على العلوم المحايثة له، والأرضية الفلسفية، وإشكاليات التلقي، إضافة إلى الكتب النظرية التي تناولت مكونات السيميائية وأصولها وتاريخها وإشكالياتها وعلاقتها بسواها.

حاولت الدراسة الإفادة من تجارب السابقين في قراءة النقد الأدبي التطبيقي لتخلص بعد ذلك إلى تصميم آلية إجرائية لقراءة الكتب النقدية ضمن مجموعة من الخطوات وفقاً لما يلي:

- مقدمة حول سمات الاتجاه السيميائي الذي ينتمي إليه الكتاب.
- الحديث عن الغايات من خلال تناول:
  1- عتبة الكتاب النقدي.
  2- المنهج.
  3- المصادر والمراجع.
  4- المصطلح.
- الوقوف عند المتن الروائي عبر الحديث عن:
  1- طبيعة المتن الروائي.
  2- توزيع المتن المدروس.
- الانتقال إلى الإجراء النقدي الذي قام به الناقد من خلال:
  1- التصنيف.
  2- التنظيم.
  3- أحكام القيمة.

وبما أن الدراسة تصبُّ في نقد النقد، فإنها تعي أن منطقة اشتغالها في جزء كبير منها فكرية فلسفية تريد الاكتشاف، والتحليل، وتفحّص المرجعيات، وكيفية تحويل المفاهيم النظرية السيميائية إلى نقد تطبيقي، وخاصة إذا كانت هذه المرجعيات في مظانها الأولى تنتمي إلى ثقافة غير الثقافة العربية...

وتلبية لذلك فقد توزعت الدراسة على بابين، وخمسة فصول تبعاً لما يلي:

obeikandi.com

الباب الأول انشغل بنشوء السيمياء وجذورها وقضاياها، وكيفية استقبالها في الثقافة العربية، وتشكل من فصلين:

- الفصل الأول تناول قضايا السيمياء من خلال ثلاثة مباحث:
  - أولاً: السيمياء: المنهج والمفهوم والمصطلح.
  - ثانياً: أعلام في تاريخ السيمياء.
  - ثالثاً: السيمياء والعلوم الأخرى.
- الفصل الثاني تحدث عن استقبال السيمياء في الثقافة العربية من خلال ثلاثة مباحث:
  - أولاً: إشكاليات الاستقبال.
  - ثانياً: الرواية العربية والسيمياء.
  - ثالثاً: حركة النقد السيميائي العربي بين الكتب والدوريات.

وتناول الباب الثاني أبرز الاتجاهات السيميائية في النقد الروائي العربي الحديث حيث انقسم إلى أربعة فصول:

- الفصل الأول: الاتجاه الباريسي.
- الفصل الثاني: الاتجاه الثقافي.
- الفصل الثالث: الاتجاه التداولي.
- الفصل الرابع: الاتجاه التوفيقي.

وسبق هذين البابين مقدمة، وتبعتهما خاتمة، وثبت لمصطلحات الدراسة، وسجل للمصادر والمراجع[1].

(1) لا بد من توجيه الشكر للأساتذة النقاد الذين جعلت ملاحظاتهم هذه الدراسة في وضع أفضل، وهم: د. ماجدة حمود، د. أحمد جاسم الحسين، د. بسام بركة، د. غسان السيد، د. نضال الصالح، د. خالد حسين.

obeikandl.com